الجوانب التربوية

من حياة ابن عثيمين

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

كتبه

أ.د. بندر بن نافع العبدلي

أستاذ السنة وعلومها

جامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم




مقدمة

بِسْم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد

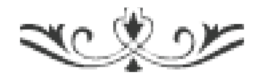
فقد كنتُ ألقيتُ قبل سنوات في محافظة شقراء محاضرة عن شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المواقف التربوية في حياته...

وقفتُ عليها بعد مراجعة الملفات في جهازي.

فرأيتُ إخراجها لَيعُم النفع بها بعد إضافات يسيرة عليها.

استفدتُ كثيرًا مما كتبه فضيلة الشيخ خالد المصلح بعنوان (ابن عثيمين كما عرفته).

رحم الله شيخنا وأنزله منازل الأبرار إنه كريم غفّار.






الجوانب التربوية
في حياة الشيخ ابن عثيمين
رَحِمَهُ ٱللَّهُ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن سير العلماء والصالحين وأخبارهم من أعظم ما تحيا به القلوب، ومن أعظم ما تزكو به النفوس، وقصصهم وأخبارهم يدخل في قول الله سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(١).

(١) سورة يوسف: ١١٠.

فالنظر في السير والسماع في أخبار من غبر من سلف هذه الأمة وأئمتها يتميز بفوائد متعددة.

منها: بعث الهمم وتقوية العزائم في نفوس أهل العلم والمربين والشباب بل والآباء والأمهات.

ومنها: الترحم عليهم ومعرفة جهودهم وعلمهم.

ومنها: مراعاة نعمة الله عز وجل في تسخيره من يشاء من عباده لخدمة هذا الدين، ونصرة الكتاب والسنة في كل مكان وزمان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ومنها: الوفاء لهؤلاء الأعلام الذين قدَّموا النصح والتوجيه والإرشاد للأمة[1].

ومنها: ما قاله الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكايات عن العلماء أحب إليَّ من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم وأخلاقهم».

(١) مقدمة كتاب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص (١٩) بتصرف.

ولذلك لما قصَّ الله تعالى على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصص جملة من الأنبياء قال بعد ذلك: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[(١)].

ومنها: صلاح القلب وحياته، قال محمد بن يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين».

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين، لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها»[(٢)].

ومنها: معرفة الإنسان قدر نفسه، قال حمدون القصار: «من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال»[(٣)].

(١) سورة الأنعام (٩٠).
(٢) «صيد الخاطر» ص (٧١).
(٣) «الاعتصام» (٦٨).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استحقر نفسه فلم يتكبر، ومن عرف الله لم يراء، ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد».اهـ

لا تعرضن لذكرنا مع ذكرهم

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

ومنها: محبة الصالحين والاعتزاز بهم، لأن قراءة تراجمهم والوقوف عند أحوالهم تبعث على ذلك، فطوبى لمن أحبهم ولمن أدمن النظر في سيرهم.

ومنها: الاستفادة من خلاصة تجاربهم وعصارة أفكارهم، وقوة إدراكهم.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن في ذكر السير والتأريخ فوائد كثيرة من أهمها أن يطلع بذلك على عجائب الأمور، وتقلبات الزمن، وتصاريف القدر، وسماع الأخبار، فالنفس تجد راحة بسماع الأخبار».اهـ

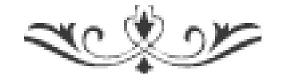
والفوائـد في ذكـر سـير العلـماء والفضـلاء كثـيرة لا تحـصر...

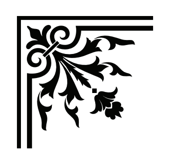


أيها الإخوة:

حديثي إليكم هو عن الجوانب التربوية في حياة شيخنا الإمام محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ المولود ليلة سبع وعشرين من رمضان عام 1347هـ، والمتوفى في الخامس عشر من شوال عام 1421هـ.

وشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عالم رباني وإمام زاهد، والإحاطة بجوانب حياته يصعب، لكن اختصرها في الجوانب الآتية.






الجانب الأول: عبادته

هـذا الجانـب هـو مـن أهـم الجوانـب التـي أولاهـا شـيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنايـة فائقـة، ويتمثـل ذلـك في أمــور:

منهـا: صلاتــه، فقـد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنموذجًـا حيًـا للعمـل بقـول النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيـما يرويـه البخـاري مـن حديـث وائـل بـن حجـر «**صلـوا كـما رأيتمونـي أصلـي**»[1].

تـرى تطبيقـه للسـنة في قيامـه وقعـوده، وفي ركوعـه وسـجوده، وفي قراءتـه وأذكاره يـدرك ذلـك كل مـن صلى معه...وليـس هـذا في صلاتـه إماما بالنـاس فحسـب، بـل إن هـذه سـجيته فِي مسـجده وفِي بيتـه.

(١) رواه البخاري (٦٣١).

وهكـذا ينبغـي للمسـلم أن يُعـنى بصلاتـه وأن يتقنهـا وأن يراقـب اللـه عنـد أداءهـا .

في الحديـث: «**إِنَّ الرَّجُـلَ لَيَنْصَـرِفُ وَمَـا كُتِـبَ لَـهُ إِلاَّ عُشْـرُ صَلاَتِهِ تُسْـعُهَا ثُمُنُهَا سُـبُعُهَا سُدُسُـهَا خُمُسُـهَا رُبُعُهَـا ثُلُثُهَـا نِصْفُهَا**»[١].

ومنهـا: حفاوتـه بكتـاب اللـه عـز وجـل تـلاوة وتدبـرًا وتعليـمًا وعمـلًا، فلـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورد مـن القـرآن يقـرؤه كل يـوم لا يخـل بـه، يختـم القـرآن في الشـهر مرتـين في غـير رمضـان، أمـا في رمضـان فـكان يختمـه في ثلاثـة أيـام، ثـم لمـا كـثرت أشـغاله صـار يختمـه في كل عـشرة أيـام.

وكانـت قراءتـه للقـرآن قـراءة مفـسَّرة يقـف حيـث يكـون الموقـف اللائـق، ويؤكـد عـلى ذلـك في توجيهاته وفي وصايـاه ونصائحـه، كـما هـو هـدي سـلفنا الصالـح، قـال عبـد اللـه بـن مسـعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لَا تَهُـذُّوا الْقُـرْآنَ

(١) رواه أبو داود (٧٩٦).

هَـذَّ الشِّـعْرِ، وَلَا تَنْـثِرُوهُ نَـثْرَ الدَّقَـلِ وَقِفُـوا عِنْـدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِـهِ الْقُلُـوبَ»[١].

ومـن المواقـف التـي أحفظهـا عنـه أنـه كان يقـف عنـد قولـه عـز وجـل: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ثـم يقـرأ: ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾[٢]، لأن هـذا اسـتفهام يعـني أهـم ينـشرون.

ويذكـر هـذا عـن شـيخه عبـد الرحمـن بـن سـعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قـال: ونحـن تعلمنـا هـذا - يعـني تعلمنـا الوقـوف عنـد المواقـف والقـراءة المتدبـرة مـن شـيخنا عبـد الرحمـن السـعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كان يقـوم بنـا في رمضـان في التراويـح والقيـام ويقـف المواقـف اللائقـة، فنتعجـب كيـف هـذا - أي نتعجـب مـن مواقفـه- كيـف يقـف هـذا، يقـول: «وكنا نقـرؤه قـراءة مرسـلة».

---

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (٣/ ٤٠٦) ح (١٨٨٣).
(٢) سورة الأنبياء: ٢١.

وهكـذا ينبغـي أن تكـون قراءتنـا لكتـاب اللـه، فقـد قـال أنـس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقـد سـئل كَيْـفَ كَانَـتْ قِـرَاءَةُ النَّبِـيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَـالَ كَانَـتْ مَـدًّا ثُـمَّ قَـرَأَ بِسْـمِ اللـهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيـمِ يَمُـدُّ بِبِسْـمِ اللـهِ وَيَمُـدُّ الرَّحْمَنِ وَيَمُـدُّ الرَّحِيـمِ[(١)].

ومـن عنايـة شـيخنا رَحِمَهُٱللَّهُ بكتـاب اللـه عنايتـه بالتفسـير، وذلـك في دروسـه ولقاءاتـه فيفسـر القـرآن ضمـن دروسـه في الجامـع، وفي الـدورات العلميـة وكـذا في لقـاءات البـاب المفتـوح، وفي اللقـاء الشـهري، ودروس الحرمـين الشريفـين كثـيرًا مـا يتطـرق إلى آيـات مـن القـرآن و يعلـق عليهـا.

وكان كثـيرًا مـا ينبـه طلبة العلـم إلى وجـوب الاعتناء بالتفسـير والإقبـال عليه لمـا في ذلك مـن الفائـدة الكبرى التـي يغفـل عنهـا أكثر طلبـة العلـم، ويهتمـون بأنـواع مـن العلـوم وفـروع مـن الفنـون، مـع أن مصـدر العلـوم كلهـا هـو القـرآن الكريـم، كـما قـال سـبحانه: ﴿ بَلۡ

(١) رواه البخاري (٥٠٤٦).

﴿ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾[(١)]، وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[(٢)].

كما أن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولى جمعيات تحفيظ القرآن عناية خاصة في عنيزة وفي غيرها، بالتأييد والمشاركة في حفلاتهم وبالدعم المادي، وقد حظيت جمعية تحفيظ القرآن بعنيزة بتأسيس الشيخ لها ودعمها بأنواع من الدعم المادي والمعنوي وسعى في تثمير إيراداتها، وتكثير مصادر دخلها، وذلك حفاظًا على هذه الجمعية لتؤدي رسالتها.

أيها الإخوة:

جوانب حياة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع كتاب الله عجب، وذلك أن القرآن استوعب حياته، فسلوكه ترجمة للقرآن وعمله وأخلاقه ترجمة لما في كتاب الله سبحانه من الوصايا والنصائح اقتداء بالنبي صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) العنكبوت: ٤٩.

(٢) سورة ص: ٢٩.

والذي قالت عنه عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا حينما سألها سعد بن هشام بن عامر - عن خلق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قالت: «**كان خلقه القرآن**»(٣).

يعني يمتثل أوامره ويجتنب زواجره.

ومنها: محافظته على ورده من نوافل العبادات، امتثالًا لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ**»(٤).

فكان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ويحرص على أن تكون في الأيام البيض، فإن سافر أو شغل قضاها في أيامٍ أخر.

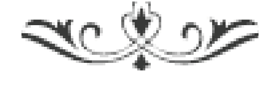
وكان يحرص على قيام الليل حسب ما يتيسَّر له، ولم يتركه لا في سفر ولا حضر، لحظات يناجي فيها ربه ويستلهمه التوفيق والتسديد والعون...

وكان يحرص على أن يذهب إلى المسجد ماشيًا

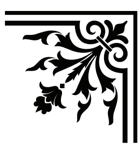
(٣) رواه أحمد (٦/ ٩١).
(٤) رواه مسلم (٧٣٠٠).

مع بعد منزله طلبًا للأجر والثواب، قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إن أحدكم إذا تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ وَأتى الْمَسْجِدَ لا يُرِيدُ إلاَّ الصَّلاةَ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً...**»[(١)].

وكان يستغل ذلك في قراءة ورده من القرآن، ولا يرضى لأحد أن يقاطعه أو يسأله.



(١) رواه البخاري (٤٧٧).




الجانب الثاني: تطبيقه للسنة ونشرها

من الجوانب التربوية التي تجلت في شخصية شيخنا محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تطبيقه للسنة ونشره لها، ولم أر رجلًا كشيخنا في حرصه على العمل بالسنة في دقيق الأمر وجليله، فإنه قد فاق كثيرًا من الناس من أهل العلم والفضل في حرصه على السنة، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحرى السنة في مأكله ومشربه وملبسه وفي قيامه وقعوده وفي نومه ويقظته.

وإليكم نماذج منتخبة:

فمن ذلك: أنه كان يؤثر في لباسه لبس البياض صيفًا وشتاء عملًا بما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ...»(١).

ومنها: أنه كان يتصبح بسبع تمرات - سافرت معه وشاهدت ذلك منه مرارًا - لما ثبت في «الصحيحين» من حديث سعد بن مالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرُّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ، وَلاَ سِحْرٌ»(٢).

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن هذا لا يختص بتمر العجوة بل يشمل كل تمر، كما هو رأي شيخيه عبد الرحمن السعدي وابن باز.

ومنها: حرصه على الشرب قاعدًا، فإنه كان يحرص على ذلك في مجمع الناس وفي انفراده، وفي السوق وفي كل مكان يتسنى له أن يجلس فكان إذا أراد أن يشرب جلس، لما روى أنس بن مالك وأبو

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٠)، والترمذي (٩٩٤)، والنسائي (١٨٩٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(٢) رواه البخاري (٥٤٤٥)، ومسلم (٥٤٥٩).

سـعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم أَنَّ النَّبِــيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ زَجَــرَ عَــنِ الـشُّرْبِ قَائِمًــا[1].

فـكان الشـيخ يحـرص عـلى تطبيـق هـذه السـنة إلا إذا تعـذر ذلـك عليـه لحاجـة أو عـارض.

ومنها: لعق الصحفة والأصابع، فقلَّ أن يقوم الشيخ من مكانه الذي أكل منه إلا وتجده قد عمل بهذه السنة يلعق أصابعه، ويلعق ما يليه من الصحفة، وقد روى مسلم في «صحيحه» من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: «فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ»[2].

ونقـل عـن بعـض الأطبـاء أنـه قـال لـه: «إن الأنامـل بـإذن اللـه تفـرز إفـرازات عنـد الطعـام تعـين عـلى هضـم الطعـام في المعـدة، وهـذه مـن الحكمـة ونحـن نفعلهـا سـنة»[3].

---

(١) رواه مسلم (٥٣٩٣).

(٢) رواه مسلم (٥٤٢٨).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ٢٣٠).

ومنها: سلامه على الصبيان إذا مرَّ بهم إدخالًا للسرور عليهم، وقد ثبت أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ على صبيان يلعبون فسلَّم عليهم.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يعتذر عن ترك بعض السنن الظاهرة بسبب انشغاله، ومن ذلك تركه لسنة الخضاب لانشغاله، وكان إذا سئل لماذا لا تخضب والسنة واضحة في الأمر بالخضاب؟ يعتذر بأن له مؤونة وكلفة، ويستأنس بقول الإمام أحمد لما سئل عن اتخاذ الشعر، فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه سنة لو نقوى عليه اتخذناه، ولكن له كلفة ومؤونة.

أيها الإخوة الأفاضل.

إن احتفاء الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالسنة لم يقتصر على هذه الجوانب فحسب، بل كان في اختياراته العلمية، وفي اجتهاده وفي ترجيحه بين الأقوال يسعى إلى ترجيح ما دلت عليه السنة، وإن خالف من خالف من أهل العلم.

بـل إن الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حـرص عـلى إظهـار السـنة والدعـوة إليهـا في وقـت كانـت السـنة فيـه خافيـة، وذلـك في زمـن كان النـاس يعتنـون فيـه بقـول المذهـب، ولا يخالفونـه لا في دقيـق ولا في جليـل، إلا أن الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سـلك مسـلك شـيخه عبـد الرحمـن بـن نـاصر السـعدي وشـيخه عبـد العزيـز بـن بـاز رحمهـم اللـه جميعـا في الاعتنـاء بالدليـل مـن الكتـاب والسـنة، وعـدم التعصـب للمذهـب، وكان يـوصي طلابـه بذلـك، وكـذا كل مـن يستشـيره في هـذا الأمـر، يعـني في إظهـار سـنة النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنـاس خفيـت.

فـكان يقـول: «ترفقـوا بالنـاس ابـدؤوا أولًا ببيان السـنة والترغيـب فيهـا والحـث عليهـا، ثـم إذا وجدتـم أن النـاس قـد لانـت قلوبهـم وقبلـوا قولكـم فـلا بـأس عنـد ذلـك أن تعملـوا بالسـنة إظهـارًا لها...لكـن ينبغـي أن لا يكـون العمـل بالسـنة داعيـة إلى التفريـق بـين النـاس».

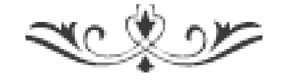
أيها الإخوة:

وكان من شدة تحريه للسنة واتباعه لها أنه يتوقف عن فعل بعض الأعمال لأن السنة لم ترد به، فمن ذلك أنه قيل له في التفاوت بين تكبير الجلوس وتكبيرات الانتقال، وهل يفاوت الناس بينها أو يجعلها على وتيرة واحدة، فقال: «إنني لم أقف على دليل من السنة يدل على التفريق في الصوت عند تكبيرات الانتقال، ومن وقف على دليل فليأتني به».

- كان في أول الأمر يرى سنية جلسة الاستراحة، ثم إنه تأمل الأدلة ورأى أنه إنما يفعلها من احتاج إليها لكبر ونحوه فتركها.

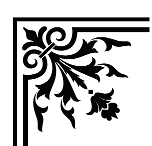
- في صلاة الكسوف كان يخطب أول الأمر جالسًا ثم مرة خطب قائمًا، وقال: «تبين لي من السنة أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خطب واقفًا فلهذا وقفت...».

- وفي خطبة العيد كان يفتتح أولًا بالتكبير ثم بعد تأمل الأدلة رأى أن يفتتح خطبة العيد كسائر الخطب بالحمد والثناء، والأمثلة على ذلك كثيرة.





الجانب الثالث: زهده وورعه



الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان عالمًا زاهدا ورعًا، لو أراد الدنيا لأتته وهي راغمة، لكنه الزهد والورع ومراقبة الله عز وجل، ومن الأمثلة والنماذج على زهده وورعه:

أهديت له سيارة من أمير القصيم السابق فردَّها، وأخبر أنه غير محتاج إليها.

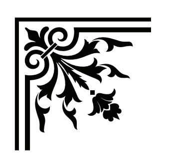
ومن ذلك: أنه صرف له مبلغ من المال، مقابل محاضرات ألقاها في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ ذاك على ملاك معهد عنيزة العلمي متفرِّغًا لإعداد كتب دراسية للمعهد العلمي فردها إلى مدير الجامعة وقال: «إن وقت هذه المحاضرات اقتطع من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد العلمية وبذلك لا أستحق ما صرف لي».

وهذا يدل على ورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أيها الإخوة الأفاضل:

إن زهد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ظهر عليه في ملبسه ومركبه ومسكنه ومأكله، بل في سائر شؤونه، قضى أكثر من ستين سنة من عمره في بيت طيني زهدًا وقناعة مع كثرة ما جاءه من عروض للانتقال إلى بيت من الطراز الحديث، لكنه آثر ذلك، ولما كثرت عليه الإلحاحات نزل عند رغبة أهله فخرج إلى بيت كبيت أوساط الناس.



الجانب الرابع:
تواضعه وحسن أخلاقه.

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمتثل قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من تواضع لله رفعه»، وكان تواضعه سبب لمحبة الناس وإقبالهم عليه، وإجلالهم له.

فمن ذلك: أنه كان لا يأنف من ركوب ما تيسر من السيارات، حتى ولو كانت سيارة كثيرة الأعطال، أو من موديل قديم.

ومن تواضعه أنه لا يسمح لأحد بأن يمدحه أو يذكر محاسنه أمام الناس، فكم تمعَّر وجهه لمدح مادح أو ثناء مثن، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوقف المادح في كثير من الأحيان، وكان ربما دعاه بعد الفراغ من مدحه فنبهه، وربما علَّق أحيانًا على ما يذكره المادح.

وأذكر أنني حضرت لقاء للشيخ في مناسبة، وقبل أن يلقي الشيخ كلمته، تقدم المتقدم بالتعريف بالشيخ، وقال: «إن الشيخ ابن عثيمين غني عن التعريف»، فلما فرغ عقَّب الشيخ على مقدمته، وقال: «إن هذه العبارة لا تنبغي، فالغني عن التعريف هو الله عز وجل...أما البشر فمهما كانوا فلابد أن يعرَّفوا.

وقد كان كثيرًا يمتثل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعكم منهم بسط الوجه وحسن الخلق»[(١)].

وذكر أنه رأى شيخه عبد الرحمن السعدي في المنام، وأنه قال له: «ما أكثر ما نفعك عند الله بعد الموت؟» فقال: «حسن الخلق».

وقد تجلت هذه الصفة في الشيخ مع طلابه وزوَّاره ومع الصغار والكبار، ومع أهله وأقاربه يزورهم ويواسيهم ويسأل عنهم ويشاركهم مناسباتهم، ويسأل عن حالهم ويتفقد المريض منهم...إلخ.

(١) رواه البزار (٨٥٤٤).




الجانب الخامس:
حرصه على العلم ونشره.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفعه بعد الله ملازمته لشيخه عبد الرحمن بن سعدي، وأخذ عنه الكثير خلقًا وعلمًا، وكان يذهب معه في طريقه إلى الدعوات التي يدعى إليها شيخه، ويسأله في الطريق ويأخذ عنه، فكان هو الموجه والمربي له،...وقد نفعه ذلك كثيرًا.

ومن حرصه عنايته بالحفظ، وهو الذي نفعه كثيرًا، وكان يقول: «قرأنا كثيرًا فلم يبق معنا إلا ما حفظنا»، وكان يوصي طلابه بالحفظ، ويقول: «الحفظ هو العلم»، ويسمِّع لهم المتون في الدرس قبل شرحه.

ومن ذلك كثرة مطالعته لكتب الشيخين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكان يدمن

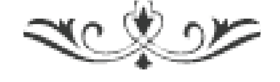
النظر فيهما واستفاد منهما كثيرًا، وكان يقول: «كان شيخنا عبد الرحمن السعدي يوصينا بقراءة كتب شيخ الإسلام وابن القيم».

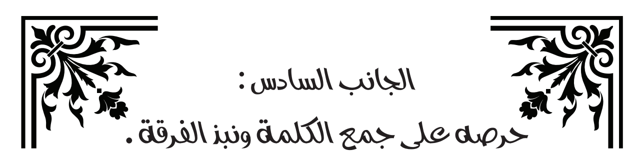
وأما حرصه على نشر العلم فهذا ظاهر وجلي لكل من عرف الشيخ فدروسه مستمرة طوال أيام الأسبوع، ولقاءات الباب المفتوح صباح كل خميس، واللقاء الشهري إضافة إلى لقاءاته الخاصة.

- لقاؤه الأسبوعي مع القضاة.
- لقاؤه مع طلبة العلم.
- لقاؤه مع الخطباء وهي شهرية.
- لقاؤه مع الآمرين بالمعروف شهريًا.

مع المشاركة في البرامج الإذاعية كبرنامج «نور على الدرب»، و«من أحكام القرآن»، وبرنامج الفتاوى في رمضان والحج، ودروسه الموسمية في العشر الأواخر من رمضان وفي أيام الحج.

ثم إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر عمره عرض عليه بعض الأفاضل أن ينشئ له موقعًا إلكترونيًا فوافق بعد الاستخارة، وتم افتتاح موقعه الرسمي على الانترنت في حياته، وأصبح الموقع الآن مع قناة ابن عثيمين الفضائية مرجعًا رئيسيًا في نشر علوم الشيخ، تشرف عليهما مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية.





الجانب السادس:
حرصه على جمع الكلمة ونبذ الفرقة.

أيها الإخوة:

شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام عامة يحث دائمًا في دروسه وخطبه ومواعظه على جمع الكلمة واتحاد الصف، ونبذ الفرقة والاختلاف، وكان يحث طلابه على ذلك، وإذا رأى منهم شيئًا أعاد وأبدأ في الاجتماع، وكان يحثهم لكي يذهب ما في قلوب بعضهم على بعض من إفشاء السلام بينهم والمحبة والمودة.

وكان يفد إليه الجموع المتفرقة من أنحاء منطقة القصيم، يستفتونه عن رأيه في الملمات لاسيما في أحداث حرب الخليج عام 1411هـ، وغيرها من النوازل فيوجههم برفق ولين وحلم مع بعد نظر وحسن تعامل مع المواقف.

إخواني

المواقــف مــن حيــاة شــيخنا التربو يــة كثــيرة لا تحــصى لكــن أردت أن أذكــر أهمهــا.

اللهـم اغفـر لشـيخنا أبي عبـد اللـه وارفـع درجتـه في المهديـين، واخلفـه في عقبـه يـا رب العالمـين.

اللهــم اجعــل مــا قدَّمــه رفعــة في حســناته، إنــك جــواد كريــم.

وصــلى اللــه وســلم وبــارك عــلى نبينــا محمــد وعــلى آلــه وصحبــه أجمعــين.

